المدرسة الإنسانية في علم النفس

مقدمة

تُعد المدرسة الإنسانية في علم النفس إحدى أهم الاتجاهات النفسية الحديثة التي ظهرت منتصف القرن العشرين كرد فعل على محدودية المدرسة السلوكية التي ركزت على السلوك الظاهر، والمدرسة التحليلية التي ركزت على اللاشعور والصراعات النفسية. جاءت المدرسة الإنسانية لتعيد الاعتبار لكرامة الإنسان وقدراته، وترى بأنه كائن يمتلك الحرية والقدرة على الاختيار، وقادر على تحقيق ذاته والوصول إلى أعلى مراتب النمو الإيجابي من خلال فهم ذاته وتطويرها. وتعتمد هذه المدرسة على نظرة شمولية للإنسان باعتباره وحدة متكاملة تجمع بين الجانب النفسي، والاجتماعي، والروحي، والانفعالي.

مشكلة البحث

تتمثّل مشكلة هذا البحث في السؤال الرئيس:

كيف فسّرت المدرسة الإنسانية طبيعة الإنسان، وما أثرها في فهم الشخصية والسلوك وتطبيقاتها في الواقع؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

١. التعريف بمفهوم المدرسة الإنسانية ونشأتها.

٢. توضيح مبادئ النظرية الإنسانية وتحليل رؤيتها لطبيعة الإنسان.

٣. عرض أهم نظرياتها وشرح مفاهيمها الأساسية.

٤. بيان تطبيقاتها في مجالات العلاج النفسي والتعليم والتنمية البشرية.

٥. تقديم أبرز الانتقادات التي وُجهت إليها.

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من كون المدرسة الإنسانية أثّرت بعمق في أساليب الإرشاد النفسي والتربية وتنمية القدرات الشخصية، وأسهمت في تطوير منهجيات التفكير الإيجابي ومهارات التواصل وتحقيق الذات.

الفصل الأول: الإطار النظري للمدرسة الإنسانية في علم النفس

تمهيد

ظهرت المدرسة الإنسانية في علم النفس لتعيد النظر في ماهية الإنسان، وليخرج هذا الاتجاه من حصر الإنسان بين السلوك الظاهر الذي تركز عليه السلوكية، وبين الصراعات اللاواعية التي تناولها التحليل النفسي. فكان المنظور الإنساني رؤية وسطية تضع الإنسان في مركز اهتمامها، باعتباره كائنًا حرًا، يمتلك إرادة وقدرة على تحقيق ذاته، والسعي نحو النمو النفسي والاجتماعي والروحي. وقد شكّل هذا الاتجاه قاعدة معرفية متميزة أثرت في فهم الشخصية والعلاج النفسي والتربية والتنمية البشرية.

المبحث الأول: نشأة المدرسة الإنسانية وتطورها

أولاً: الخلفية التاريخية لنشأة المدرسة الإنسانية

نشأت المدرسة الإنسانية في منتصف القرن العشرين بالولايات المتحدة الأمريكية، كرد فعل على النظرة التشاؤمية للإنسان في التحليل النفسي التي حصرت السلوك في اللاشعور والدوافع الجنسية والعدوانية، وكذلك كرد فعل على المدرسة السلوكية التي اختزلت الإنسان في استجابات آلية خاضعة للمثيرات.

وقد رأت المدرسة الإنسانية أن كلا الاتجاهين أهمل جوهر الإنسان ككائن حر يمتلك القدرة على اتخاذ القرار وتحقيق ذاته، فكان لا بد من اتجاه ثالث يعيد الشخصية إلى مركز الاهتمام، ويركز على القيم، والمشاعر، والإمكانات، والحرية الإنسانية.

ثانياً: ظروف نشأة المدرسة الإنسانية

جاء ظهور الاتجاه الإنساني نتيجة عدة عوامل، أبرزها:

١. **التقدم العلمي والتكنولوجي** الذي دفع الفلاسفة والباحثين لإعادة التفكير في معنى الحياة والقيم الإنسانية.

٢. **ظهور الحركات الاجتماعية والسياسية** الداعية إلى الحرية والحقوق المدنية خلال الستينيات.

٣. **انتشار القلق النفسي والاغتراب الروحي** لدى الأفراد في المجتمعات الصناعية الحديثة.

٤. **نقد النزعة العلمية المادية** التي همّشت الجانب الروحي والقيمي للإنسان.

ثالثاً: مراحل تطور الاتجاه الإنساني

مرّ الاتجاه الإنساني بثلاث مراحل أساسية:

١. **مرحلة التأسيس الفلسفي** :(1950–1960)ركزت على تعريف الإنسان ككائن حر.

٢. **مرحلة بناء النظريات التطبيقية** :(1960–1970)مثل نظرية روجرز وهرم ماسلو.

٣. **مرحلة التوسع والانتشار** (من السبعينيات إلى اليوم): فدخل الاتجاه الإنساني مجالات العلاج النفسي، والإرشاد، والتربية، وتنمية الموارد البشرية.

المبحث الثاني: روّاد وأعلام المدرسة الإنسانية

أولاً: كارل روجرز(Carl Rogers)

- يعد روجرز مؤسس **العلاج المتمركز حول العميل،** والذي يقوم على إعطاء الفرد حرية التعبير عن ذاته دون حكم أو ضغط.
- يرى روجرز أن الفرد يمتلك القدرة على التغيير إذا توفرت بيئة علاجية قائمة على:

١. القبول غير المشروط.

٢. التعاطف.

٣. الصدق أو التطابق بين المشاعر والسلوك.

ثانياً: أبراهام ماسلو(Abraham Maslow)

- يعد الأب الروحي للمدرسة الإنسانية في علم النفس.
- اشتهر بنظرية **حاجات الإنسان** التي تمثل الدافع الأساسي للسلوك البشري.
- رأى ماسلو أن الإنسان يسعى لتحقيق الذات بعد إشباع حاجاته الأساسية.

ثالثاً: فيكتور فرانكل(Viktor Frankl)

- مؤسس العلاج بالمعنى.(Logotherapy)
- يرى أن الإنسان يسعى لإيجاد **معنى لحياته،** وأن فقدان المعنى سبب رئيسي للأمراض النفسية.

رابعاً: جوردن أولبورت(Gordon Allport)

- ركّز على السمات الشخصية ودور القيم في تشكيل السلوك.
- رأى أن الشخصية لا تُفسر فقط بالماضي، بل بالتوجه نحو المستقبل.

المبحث الثالث: الأسس الفلسفية للمدرسة الإنسانية

أولاً: نظرتها لطبيعة الإنسان

تؤمن المدرسة الإنسانية بأن الإنسان:

- كائن حر ومختار.
- قادر على اتخاذ قرار.
- يسعى نحو النمو وتحقيق ذاته.
- يمتلك قيمة وكرامة جوهرية لا يمكن المساس بها.

ثانياً: الحرية والمسؤولية

ترى المدرسة الإنسانية أن الحرية ليست مطلقة، بل هي مرتبطة بالمسؤولية، أي أن الفرد مسؤول عن اختياراته ونتائجها.

ثالثاً: النزعة نحو تحقيق الذات

الإنسان يمتلك دافعًا فطريًا نحو النمو الإيجابي، والبحث عن معنى الذات، والارتقاء النفسي.

رابعاً: النظرة الشمولية للإنسان

تنظر المدرسة الإنسانية للإنسان على أنه وحدة متكاملة من المشاعر، والعقل، والروح، والجسد، ولا يمكن اختزاله إلى استجابات سلوكية أو صراعات غير واعية فقط.

الفصل الثاني: أهم نظريات المدرسة الإنسانية في علم النفس

تمهيد

يمثل الاتجاه الإنساني في علم النفس أحد أبرز التيارات التي أسهمت في تطوير فهم الإنسان وسلوكه ودوافعه. ولقد أسس هذا الاتجاه عدد من النظريات النفسية التي اهتمت بقدرة الفرد على النمو وتحقيق الذات، وبالقيم والمعنى الإنساني، بعيداً عن النزعات الجامدة للسلوكية والتحليل النفسي. ومن أبرز هذه النظريات: نظرية الحاجات لماسلو، ونظرية العلاج المتمركز حول العميل لروجرز، ونظرية العلاج بالمعنى لفرانكل. في هذا الفصل، نستعرض الأساس النظري والتطبيقي لهذه النماذج.

المبحث الأول: نظرية الحاجات الإنسانية لأبراهام ماسلو

أولاً: مفهوم نظرية الحاجات

تُعد نظرية ماسلو من أبرز النظريات التي فسّرت الدافعية الإنسانية بناءً على حاجات متدرجة. وتنص على أن السلوك البشري مدفوع برغبة داخلية في إشباع حاجات تتدرج من الحاجات الأساسية إلى تحقيق الذات.

ثانياً: مستويات الحاجات في نظرية ماسلو

وضع ماسلو هرمًا للحاجات يتكون من خمس مستويات:

١. **الحاجات الفسيولوجية** :كالحاجة إلى الغذاء، والماء، والنوم.

٢. **الحاجة إلى الأمان** :الأمن الجسدي، والاستقرار النفسي والاقتصادي.

٣. **الحاجات الاجتماعية** :الحاجة للحب، والانتماء، وبناء علاقات.

٤. **حاجات التقدير** :الحاجة للثقة بالنفس، والاحترام الاجتماعي.

٥. **حاجة تحقيق الذات** :الوصول لأقصى إمكانات الفرد وإبداعه.

ثالثاً: خصائص نظرية ماسلو

- الحاجات مرتبة بحسب أولويتها.
- لا ينتقل الفرد إلى الحاجة الأعلى إلا بعد إشباع الأدنى نسبيًا.
- تحقيق الذات ليس هدفًا نهائيًا، بل عملية مستمرة للنمو.

رابعاً: تطبيقات نظرية ماسلو

- الإرشاد النفسي.
- إدارة الموارد البشرية.
- التربية وتنمية المواهب.

المبحث الثاني: نظرية العلاج المتمركز حول العميل لكارل روجرز

أولاً: مفهوم النظرية

تركّز نظرية روجرز على قدرة الفرد على فهم ذاته وتغييرها إذا توفرت له بيئة علاجية مناسبة. يرى روجرز أن الإنسان يمتلك نزعة فطرية نحو النمو المستمر وتحقيق الذات.

ثانياً: مبادئ العلاج المتمركز حول العميل

يعتمد العلاج على ثلاثة مبادئ أساسية:

١. **القبول غير المشروط** :احترام العميل دون حكم.

٢. **التعاطف** :فهم مشاعر العميل بصدق وتأثر.

٣. **التطابق (الصدق)** :اتساق مشاعر المعالج مع سلوكه تجاه العميل.

ثالثاً: أهداف النظرية

- تحرير الفرد من الضغط الشعوري.
- تعزيز الوعي بالذات.
- تمكين العميل من اتخاذ قراراته.

رابعاً: دور المعالج

- دور إرشادي وليس توجيهيًا.
- توفير بيئة داعمة تساعد العميل على التفريغ والانفتاح.

المبحث الثالث: نظرية العلاج بالمعنى لفيكتور فرانكل

أولاً: مفهوم النظرية

يرى فرانكل أن الإنسان كائن يبحث عن **المعنى** في حياته، وأن غياب المعنى يؤدي إلى القلق الوجودي والاكتئاب.

ويختلف هذا العلاج عن التحليل النفسي، كونه يركز على المستقبل والمعنى، وليس على الصراعات اللاواعية فقط.

ثانياً: أسس العلاج بالمعنى

- الحرية في اختيار الموقف.
- الإرادة نحو المعنى.
- المسؤولية الفردية.

ثالثاً: تطبيقات العلاج بالمعنى

- علاج حالات الاكتئاب والقلق.
- مساعدة ضحايا الكوارث والحروب.
- العلاج من الإدمان والاضطرابات الوجودية.

رابعاً: مفهوم القيم عند فرانكل

يشير فرانكل إلى وجود ثلاث قيم رئيسية تمنح الحياة معناها:

١. **قيم الإنجاز**)العمل والإبداع.(

٢. **قيم الخبرة**)الحب، الجمال، الطبيعة.(

٣. **قيم الموقف**)اختيار الموقف المناسب في الظروف الصعبة.(

الفصل الثالث: تطبيقات المدرسة الإنسانية في علم النفس

تمهيد

لم يقتصر الاتجاه الإنساني على تقديم إطار نظري لفهم الشخصية والدافعية الإنسانية، بل امتد أثره إلى تطبيقات متنوعة في الإرشاد النفسي، والعلوم التربوية، والتنمية الذاتية، والقيادة والتنظيم. فقد ساعدت النظريات الإنسانية، خاصة أفكار ماسلو وروجرز وفرانكل، في بناء نماذج علاجية وتعليمية تهدف إلى تمكين الفرد من تحقيق ذاته، وتنمية قدراته، والتغلب على القلق والمعاناة النفسية عبر المعنى والوعي الذاتي. وفي هذا الفصل نتناول أبرز تطبيقات المدرسة الإنسانية في المجالات العلمية والمهنية.

المبحث الأول: تطبيقات المدرسة الإنسانية في الإرشاد والعلاج النفسي

أولاً: مبادئ الإرشاد الإنساني

يرتكز العلاج النفسي الإنساني على مجموعة من المبادئ الأساسية، أهمها:

١. **احترام حرية الفرد وحقوقه.**

٢. **التركيز على الحاضر لا الماضي.**

٣. **تمكين الشخص من اتخاذ قراراته.**

٤. **اعتبار الإنسان كائنًا قادرًا على النمو الذاتي.**

ثانياً: نماذج العلاج النفسي الإنساني

يشمل الإرشاد الإنساني عدة نماذج، من أبرزها:

- **العلاج المتمركز حول العميل**)روجرز.(
- **العلاج بالمعنى**)فرانكل.(
- **العلاج غير الموجّه**)الإنصات دون فرض.(

ثالثاً: أهداف الإرشاد الإنساني

- تطوير مفهوم الذات الإيجابي.
- تعزيز الثقة بالنفس والاستقلالية.
- تحرير الفرد من التوتر والقلق.
- دعم التواصل مع الذات ومع الآخرين.

رابعاً: دور المعالج في الإرشاد الإنساني

- توفير بيئة داعمة خالية من الأحكام.
- استخدام التعاطف والقبول غير المشروط.
- عدم توجيه العميل بشكل مباشر بل مساعدته ليكتشف نفسه.

المبحث الثاني: تطبيقات المدرسة الإنسانية في التربية والتعليم

أولاً: المبادئ التربوية للمدرسة الإنسانية

ترتكز التربية الإنسانية على:

١. **احترام ميول المتعلم وحريته.**

٢. **تنمية التفكير الإبداعي.**

٣. **تعزيز التعليم الذاتي.**

٤. **التركيز على التعلم القائم على الخبرة.**

ثانياً: دور المعلم في التربية الإنسانية

- توفير بيئة آمنة للتعبير عن الذات.
- تشجيع الحوار والمناقشة.
- تحفيز الطلاب على التعلم بالخبرة.
- مراعاة الفروق الفردية.

ثالثاً: تطبيقات نظرية ماسلو في التعليم

- إشباع حاجات الطلاب قبل التعلم (الغذاء، الأمان، الاحترام).
- خلق جو مدرسي مشجع للتفوق.
- تطوير برامج تعليمية تُنمّي الإبداع وتحقيق الذات.

رابعاً: تطبيقات روجرز في التعليم

- التعليم المتمركز حول الطالب.
- التعلم القائم على المشكلات والخبرة المباشرة.
- تقويم ذاتي بدلاً من الاعتماد على التقييم السلطوي.

المبحث الثالث: تطبيقات المدرسة الإنسانية في التنمية البشرية والقيادة

أولاً: المدرسة الإنسانية وتنمية الذات

- تُستخدم أفكار ماسلو وروجرز في بناء برامج تطوير الشخصية.
- التركيز على الثقة بالنفس، والوعي الذاتي، وامتلاك معنى للحياة.
- مسؤولية الفرد في اختيار مصيره.

ثانياً: تطبيقات المدرسة الإنسانية في القيادة

- بناء قيادة تشاركية تستند إلى تقدير العاملين.
- توفير بيئة عمل تُشبع حاجات الانتماء والتقدير.
- التركيز على تحفيز الموظفين نحو الإبداع وتحقيق الذات.

ثالثاً: أثر النظرية الإنسانية في المؤسسات

- رفع الإنتاجية عبر الاهتمام بالعنصر البشري.
- تعزيز الولاء التنظيمي من خلال إشباع حاجات الموظفين.
- دعم العلاقات الإنسانية داخل بيئة العمل.

الفصل الرابع: الانتقادات الموجهة للمدرسة الإنسانية في علم النفس

تمهيد

على الرغم من التأثير العميق الذي أحدثته المدرسة الإنسانية في علم النفس، وانتشار تطبيقاتها في مجالات الإرشاد والتربية والتنمية البشرية، إلا أن هذا الاتجاه لم يسلم من النقد العلمي، خاصة من قبل المدارس السلوكية والتحليلية والاتجاهات المعرفية. وقد وُجهت إليه مجموعة من المآخذ التي تتعلق بالمنهج، والفلسفة، وإجراءات البحث العلمي. ويهدف هذا الفصل إلى استعراض أبرز الانتقادات التي طالت المدرسة الإنسانية.

المبحث الأول: الانتقادات المنهجية للمدرسة الإنسانية

أولاً: غياب المنهج التجريبي الصارم

يرى منتقدو المدرسة الإنسانية أن معظم مبادئها قائمة على **وصف الظواهر** و**التجارب الذاتية**، مما يجعلها **غير قابلة للقياس التجريبي** بطريقة يمكن التحقق منها علميًا.

وقد انتقدها السلوكيون خصوصًا لعدم استخدامها **مقاييس كمية** يمكن التحقق منها.

ثانياً: صعوبة اختبار مفاهيمها

تعتمد المدرسة الإنسانية على مفاهيم مثل:

- **تحقيق الذات**
- **القيم الشخصية**

- **التجربة الذاتية**

وهي مفاهيم يصعب قياسها بدقة، ولا يمكن إخضاعها بسهولة للبحث العلمي التجريبي.

ثالثاً: الاعتماد على الخبرة الشخصية

يرى بعض الباحثين أن النظرية الإنسانية تركز بشكل كبير على **تجارب الأفراد**، مما يجعل تعميم نتائجها أمرًا صعبًا، وغير مناسب لدراسة السلوكيات العامة أو الظواهر النفسية الكبرى.

المبحث الثاني: الانتقادات الفلسفية والفكرية

أولاً: المبالغة في النظرة المثالية للإنسان

تُتهم المدرسة الإنسانية بأنها تنظر إلى الإنسان نظرة **مثالية**، باعتباره كائنًا يسعى دائمًا للخير وتحقيق الذات، بينما الواقع الإنساني يتضمن:

- العدوان
- الأنانية
- الانحراف السلوكي

وقد انتقد أصحاب التحليل النفسي هذه المثالية بشدة.

ثانياً: تجاهل العوامل البيولوجية واللاشعورية

يرى التحليل النفسي أن السلوك الإنساني متأثر بقوة بالدوافع اللاواعية، بينما يقلل الاتجاه الإنساني من هذا العامل ويعطي أهمية أكبر للوعي.

كما انتقدته مدارس علم الأعصاب المعاصرة لعدم اهتمامه **بالجانب البيولوجي العصبي للسلوك.**

ثالثاً: تجاهل أثر البيئة والعوامل الاجتماعية

يرى بعض علماء الاجتماع أن المدرسة الإنسانية تبالغ في التركيز على الفرد وقدرته على الاختيار، وتقلل من تأثير:

- الثقافة
- التربية
- الظروف الاقتصادية

على تشكيل الشخصية.

المبحث الثالث: الانتقادات التطبيقية والعملية

أولاً: صعوبة تطبيق مبادئها في الممارسة العلاجية

من أبرز التحديات العملية التي وُجهت للمدرسة الإنسانية:

- **الاعتماد على الحوار المفتوح** دون أدوات علاجية دقيقة.
- **غياب التوجيه المباشر للعميل** مما قد لا يناسب حالات مثل الإدمان أو الاضطرابات الحادة.

ثانياً: محدودية فاعليتها مع الاضطرابات النفسية الشديدة

يرى بعض المتخصصين أن العلاج الإنساني مناسب للاضطرابات الخفيفة والمتوسطة، مثل:

- القلق العادي
- التوتر
- مشكلات الهوية

لكنّه **غير فعال** بدرجة كافية مع الاضطرابات الذهانية أو الانفصامية.

ثالثاً: استخدامها في التنمية البشرية بشكل غير علمي

انتشر استغلال أفكار المدرسة الإنسانية في برامج:

- التنمية الذاتية
- التحفيز
- التدريب الشخصي

وأحيانًا بشكل **تجاري غير علمي** أدى إلى تشويه مفهومها الحقيقي.